الأحداث السياسية وأثرها في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي

Political Events and Their Impact on the Embroidery of the Palestinian Woman Traditional Dress

أ. محمد أحمد مصلح
معلم/ وزارة التربية والتعليم/ الأردن

Mr. Mohammad Ahmad Mosleh
Teacher/ The Ministry of Education / Jordan
aamer982@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 19/ 7/ 2019م، **تاريخ القبول:** 26/ 10/ 2019م.
Received: 19/ 7/ 2019, **Accepted:** 26/ 10/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604883
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

هدفت الدراسة الكشف عن أثر الأحداث السياسية في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي، في الفترة الممتدة بين عامي (1900 – 2000)، وسلك الباحث المنهج التاريخي لمناسبته هدف الدراسة، إذ أظهرت النتائج تأثر مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي بالأحداث السياسية المهمة بشكل محدود وضيق جداً، إلا من ثوب الانتفاضة الذي تبدّل جذريا في مطرّزاته. وقد وقع أثر الأحداث السياسية على الثوب بضربين الأول إبداع بعض المطرّزات الجديدة، والثاني تغيير بعض أسماء المطرّزات الموروثة إلى أسماء جديدة تتناسب والحدث السياسي، كما بينت النتائج تأثر الثوب النسوي ذو القطبة الفلاحية (المصلبة) بالأحداث السياسية فقط، دون غيره من الأثواب المنتشرة في مناطق التطريز كثوب التحريرة أو المناجل أو الطارة. وفي نهاية الدراسة قدمت مجموعة من المقترحات والتوصيات.

كلمات مفتاحية: الأحداث السياسية، التطريز، الثوب الفلسطيني النسوي.

Abstract

The study aims to explore the impact of political events on the embroidery of the Palestinian woman traditional dress in the period 1900 - 2000. The researcher opted the historical method since it suits the purpose of the study. The results showed that the embroidery of the Palestinian dress was impacted slightly by the political events except for the "Intifada Dress" which embroidery changed radically. The impact of political events can be categorized into two types; first, the creation of new embroideries; second, changing some of the traditional names of embroideries to new names to match the political events. The results showed that, among other types, only the dress made with "the peasantry stitch" (cross stitch) was impacted by the political events. At the end of the study, the researcher introduced a number of suggestions and recommendations.

***Keywords**: Political Events, Embroideries, Palestinian Woman Dress.*

المقدمة

الزيّ الشعبي الموروث ميزة لكل شعب عن غيره من الشعوب، يتباهى ويفتخر به؛ بما يحمله من مدلولات مهمة عن عراقته وأصالته، وقد حرصت الشعوب على دراسة تاريخها وميراثها الحضاري، إذ نراها تنفض عنه الغبار لتعيد له الحياة مرّة أخرى بعد مضي السنين، ليتألق في المحافل والمناسبات كزيّ وطني يمثل شعبه، وكلما كان هذا الزيّ موغلا في القدم أصبح له مكانة ورمزية أعظم عند الشعوب.

ويعدّ التطريز أهمّ ما يميز الأزياء الشعبية الفلسطينية النسوية، وهو فنّ تتناقله الأمّهات عن الجدات، ويورّثنه للبنات أجيالاً إثر أجيال. ولولا التوريث الحِرفي اليدوي لبادت تقاليد التطريز، التي يدهشك أنها قلما تبدلت منذ ظهورها في رسوم الكنعانيين[1]، إذ يعدّ الزيّ الفلسطيني التقليدي المطرّز امتداداً للزيّ الكنعاني القديم، وعلاقة هذا الزيّ مع منتجات البيئة، وتفاعل الإنسان معها هي علاقة قائمة منذ آلاف السنين، وقد تأثر الزي الفلسطيني النسوي المطرّز بما حوله من أوضاع جغرافية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية ضَبطت أصول التطريز فيه عبر مئات السنين، ما جعل من هذه الضوابط أسسا يبنى عليها الثوب، منذ بدء قص القماش إلى انتهاء جمعه، مرورا بما حواه الثوب من مطرّزات مختلفة في الألوان وكثافة التطريز، أما الأحداث السياسية المهمة والمفصلية التي بدأت مع بداية القرن العشرين وانتهت مع انتفاضة الحجارة فقد كان لها تأثير محدود في بعض مطرّزات الثوب. يتناول الباحث دور هذه الأحداث وتأثيرها على مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي.

التطريز لغة واصطلاحا

لغة: نجد في باب طَرَزَ، الطِّرْز: البَزُّ والهيئة، الطِّرْز والطِّراز: الجيّد من كلّ شيء، الطِّراز: الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيادُ، الطِّرز والطِّرز: الشكل (ابن منظور، الجذر: طَرَزَ). طَرزَ طَرزاً: تأنّق ولم يلبس إلا فاخراً، طرَّز الثوب: زيّنه بالخيوط المُلوّنة والرسوم وما شاكلها. الطِّراز: ما ينسج من الثياب للسلطان الفارسي، وهو لفظ فارسي معرّب أصله «تراز» (المنجد). طَرْزٌ: حسنٌ زيّه وهيئته (الجواليقي، 1969).

اصطلاحا: استعمال الخيط (حرير، قطن، صوف) بغرزه على القماش، بوساطة الإبرة (يدوية، ماكنة)، بكيفية معيّنة، لإنتاج وحدات زخرفية معيّنة.

لمحة تاريخية

يعد الزيّ الفلسطيني التقليدي المطرّز المعاصر (اللباس الشعبي) امتدادا للزيّ الكنعاني القديم، وعلاقة هذا الزيّ مع منتجات البيئة وتفاعل الإنسان معها هي علاقة قائمة منذ آلاف السنين، فقد عثر على نقش في مقبرة «خنم حتبة الثاني[2]» (1900 ق.م) من عهد سنوسرت الثاني[3]، يمثّل جماعة من الكنعانيين تعدادها سبعة وثلاثون شخصا، ويلاحظ أنّ ملابس النساء والرجال بهذا النقش مزخرفة بزخارف هندسية جميلة، ما يزال بعضها يتشابه مع ما يشاهد الآن على الثياب الفلسطينية المطرّزة المعاصرة (المزين، 1981)، وبخاصّة أزياء المناطق الجبلية التي يغطّي فيها التطريز معظم أجزاء الثوب، ويلاحظ من خلال التدقيق في هذه الرسومات وجود مطرّزات (وحدات زخرفية) موزّعة على سطح الثياب توزيعا يدلّ على ذوق جميل، على شكل أشرطة طولية، وهذه الميزة ما تزال باقية حتى الآن، وتعتبر من أهمّ مميزات فنّ التطريز على الأزياء الفلسطينية المعاصرة، وكذلك فقد شوهدت رسوم على قبور مصرية تظهر كنعانيين في عصر الهكسوس[4] في أثواب طويلة مطرّزة من عام (1700 ق.م) (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990)، وما وجد أيضا من رسوم جدارية للكنعانيين تعود لعصر البرونز المتأخّر، على قبر طيبة في عهد تحتمس الرابع5 (1411–1420

ق.م) وأهمّها صور تمثل جماعة من الكنعانيين جاؤوا لتقديم الجزية (المزين، 1981)، وغيرها ما يدلّ على أنّ الزيّ المطرّز لسكان فلسطين اليوم يعود إلى وجود الكنعانيين، بل إنّ التوزيع العام للمطرّزات على الثياب الفلسطينية المعاصرة هو امتداد للتوزيع الزخرفي الذي ظهر على أزياء أجدادنا الكنعانيين. ويدهشك أيضا أنّ هذه المطرّزات قلّما تبدلت منذ ظهورها في رسوم الكنعانيين، التي ظهرت في النقوش الفرعونية قبل آلاف السنين، فهذا التراث المأثور هو خزانة الشعوب وحافظة فنونها وحكمتها عبر مئات السنين (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990)، وقبل المضيّ قدما في توضيح ما اختصّت به المرأة في زيّها المطرّز، فقد نوّه أبو جبين (2012) أنّ الثياب المطرّزة عند الفلسطينيين كانت قديما تلبس من قبل المرأة والرجل على حدّ سواء؛ إذ تطور فنّ التطريز المتميز عند الإنسان الفلسطيني تبعا لتطور آلات استخدامه، خاصة بعد ظهور الإبر النحاسية والحديدية، وحينها ارتدى الرجال والنساء على حدّ سواء الأزياء المطرّزة بمختلف الرسومات، تبعا للقرى والمناطق التي عاشوا فيها، إلى أن دخلت فلسطين الإسلام؛ إذ تخلى الرجال عن لبس الثياب المطرّزة.

ويعدّ التطريز جزءا مهما من حياة المرأة في القرية الفلسطينية وتستعمله لتزيين بيتها، وثوبها التقليدي، والمكملات الأخرى، مثل: الغدفة[6]، والوقاة[7]، والعراقية[8]، والملاية[9]، ولفاع الطفل[10] (القماط)، والشراشف[11]، والوسائد[12] (المخدّات)، والشملة[13] (الحزام)، والبراويز[14]، وغيرها، ويلاحظ أنّ التطريز برسوماته وأنواعه قد خضع لبعض التغيّرات مع مرور الزمن، فقد امتاز –على سبيل المثال– القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين باحتوائه على رسومات تطريزية هندسية الشكل في المقام الأول، أمّا في الثلاثينيات من القرن العشرين فقد ظهرت مؤثرات جديدة غيّرت في خصوصية التطريز التقليدي، مثل خيطان الحرير المصنعة في أوروبا –أهمها خيوط الدمسة (DMC) الفرنسية– التي صاحبتها الكتيّبات الخاصّة بالتطريز الغربي، حيث وجدت طريقها إلى الأسواق الفلسطينية، فتسرّبت الرسومات الغربية، مثل الأزهار، والطيور، والحيوانات إلى أثواب النساء التقليدية، وقد بان ذلك جليّا في الخمسينيات واستمرّ إلى يومنا هذا (قعوار وناصر، 1992).

ولقد صوّرت امرأة القرية الفلسطينية حياتها على ثوبها، ولبست تلك الحياة في أحوالها المختلفة، كأنها أغنيات وأناشيد صاغتها بالألوان، وطرّزتها بالخيوط، فأرتنا بفنّها الراحة والعناء، والرخاء والشدة (قعوار، 2010). واحتوت الأثواب الفلسطينية على تنوّع كبير، كتصوير أوراق الأشجار، وبتلات الورود، وأجنحة العصافير. ولشعب متجذر ضارب في عمق التاريخ أساطير حاضرة تأبى الاندثار، ظهرت بوحدات زخرفية كالآلهة الكنعانية القديمة، واتّضح ذلك من خلال الزخارف الهندسية، كالنجمة ذات الثمانية أضلاع، التي كانت ترمز إلى الإله (فينوس[15])، أما الطلاسم، والتمائم الكنعانية كالمثلث والمربع فقد أخذت موقع الصدر والذيول في الثوب (أمين، 2009)، كما ظهرت الطقوس القديمة على شكل رسومات للنباتات، والحيوانات، والنجوم، والأشكال، والصور على الجدران والآنية والأدوات المختلفة، ولم يكن اللباس والتطريز في منأى عن ذلك كله، حيث تجسّد التطريز على الأقمشة المختلفة ابتداء، ثمّ ظهر على الزيّ المطرّز. ولقد رأينا هذه المعتقدات بطلاسم الكمّ، والقبّة، والذيال التي تلتفّ حول فتحات الثوب منعا ووقاية للابسها من دخول الأرواح الشريرة من خلال تلك الفتحات للجسد والروح وفقا للميثولوجيا الكنعانية (جرادات، 2011).

ومن ناحية أخرى فقد كان الثوب الفلاحي المطرّز إلى بدايات القرن العشرين يطرّز بكثافة وغزارة في البدنين الأمامي والخلفي حتى لا يكاد يبان فيه أي فراغ، ومن أنواع هذه الثياب المَسْتر، والفتوحي، والملقة، والدَّجني وغيرها، وبعد نكبة (1948) وما تبعها من تغيّر في الحياة والعمل أخذت كثافة التطريز على الثوب الفلاحي للمرأة تقل تدريجياً، وخاصة في مناطق البنايق والبدن والذيال (الرَّدفة)، وأصبح ثوب العروق هو الثوب السائد بين النساء في أغلب المناطق، وذلك لقلة كلفته المادية، وقلة الوقت المستنفد بتطريزه، إلا أنه لم يفقد أصالته من حيث هيكله العامّ، ومطرّزاته. وينوّه هنا أنّ ثوب العروق كان موجوداً قبل سنة (1948)، فلو أمعنا النظر بالكم الهائل من الصور الفوتوغرافية الملتقطة قبل النكبة، لتأكد لنا وبكل وضوح وجود ثوب العروق في مشاهد الحياة اليومية للمرأة في فلسطين.

أجزاء الثوب

إنّ قصّ (تفصيل) الثوب هو أول عمل تقوم به المرأة من أجل صناعته، وتعتمد الفروق في تفصيل الثوب وفي هيكله العام على عوامل عديدة، فقد تكون الفروق ناتجة بين منطقتين جغرافيتين مختلفتين، أو بين جيلين في القرية الواحدة، أو لارتباطه بثقافة اجتماعية تتصل بخصوصية ما، كعمر المرأة مثلا، حيث يفصّل ثوب الفتاة الشابة أو المقبلة على الزواج ضيقا حول الخصر والصدر، وعلى العكس من ذلك يفصل فضفاضاً للكبار والعجائز، لكنّ هذه الفروق لا تؤثر في الهيكل العام بصورة إجمالية. ويلزم عادة لثوب المرأة ستة أذرع من قماش (أبو عرض) أي ما كان عرضه (68 سم)، وثلاثة أذرع من قماش (أبو عرضين)، أي ما كان عرضه (136 سم)، ولكن لا بدّ من قصّ القماش من قبل امرأة مختصة في مجال الخياطة، حيث يقصّ القماش إلى القطع الآتية:

البدنان: وهما البدن الأمامي والخلفي، وهما متساويان في الطول والعرض، إذ يبلغ طول كلّ بدن طول المرأة من كتفها إلى قدميها، مع إضافة حوالي (6 سم) لثني القماش من الأسفل والأعلى عند الخياطة، أمّا عرض البدن فيكون بعرض الكتفين، مع إضافة القليل لثني القماش عند جمعه بالمناجل.

البنايق: مفردها بنيقة، وتسمّى أيضا «الشقيقة» وعددها اثنتان، أو أربع، أو ثمان، أمّا طول البنيقة فهو طول المرأة من أسفل الثوب إلى الإبط أو أقل بحوالي «شِبر»، وعرضها متفاوت على حسب رغبة المرأة في جعل الثوب واسعا، وهو ما يغلب على العجائز، أو ضيقا ويسمّى (مْكَسَّم) وهو للفتيات الشابّات، فيكون ضيقا متناسبا مع جسم الفتاة.

القبّة: قطعة مستطيلة طولها تقريبا (60 سم) وعرضها (35 سم) وهو الحجم المتوسّط للمرأة، قد يزيد أو ينقص. وتمتد القبة من أول الصدر إلى ما وراء الكتفين من الخلف، وتخاط فوق البدن الأمامي، ويحفر فيها فتحة الرقبة، ويصنع في أحد جانبيها فتحة قد تستعمل لإرضاع الطفل، أو كجيبة (عبّ الثوب) في بعض الأوقات.

الكمّ: ويقع بنوعين أولهما الكمّ العادي، الذي يحوي على التطريز بأغلب أنواعه، ويقدر عرضه من آخره (فتحة الكمّ) بحوالي

(15 سم)، وثانيهما الكمّ المردَّن (أبو ردان)، الذي يتراوح عرضه في آخره بين (45 و 70 سم).

توزع المطرّزات ودلائلها

إنّ الاختلاف في كيفية غَرْز الإبرة ينتج القطب، والاختلاف في كيفية تنظيم القطب ينتج المطرّزات، والاختلاف في توزيع وتنظيم المطرّزات ينتج مجموعة من الثياب المختلفة بالشكل والتسمية. وقد امتازت قرى الوسط والجنوب الفلسطيني بنوعين رئيسين من الثياب هما: ثوب العروق وثوب المناجل، وقد توزّع التطريز فيهما على الأجزاء الآتية: القبّة، البدنان، البنايق، الذيال (الرَّدفة)، الكمّان.

والمتأمل يجد في المطرّزات المبثوثة على الثوب التقليدي خصوصية تنفرد بها أجزاؤه، وترسل من خلالها رسائل ودلائل للناظر من حولها، بل إنها تشكل قاموسا من المعاني، والأفكار لا يدركها الكثير من الناس، فالنسوة حين يقدمن على رسم وتزيين الكمّين والساقين (البدن) بألوان زاهية متمايزة من خيوط التطريز، تدلّ الناظر لمواضع الأنوثة وخريطة الجسد المحتفى بجماله من غير خجل أو ابتذال، معلنة عن الرغبة بالزواج تارة، أو عن الحزن والحداد تارة أخرى، أو عن الغنى أو الفقر أيضا بما تحتويه من كثافة التطريز أو قلته. أمّا القبّة موضع الأنوثة الصارخ، والخصوبة عند المرأة فقد كانت مطرّزاتها الأكثر كثافة، وتنوّعا بوحداتها التطريزية، وألوانها، ومواضيعها، فنرى فيها الأزهار، والطيور، والأقواس، والعروق، والأشكال الهندسية كالأقمار، ونرى النفانيف التي تلتفّ حولها، ونرى فيها أيضا جيب الرضيع المحبوك بالخيوط، وجيب آخر يسمّى (عبّ الثوب) تخبّئ فيه المرأة أشياءها، وكذلك تحوي القبة خيوط الجدائل (القيطان) التي تتدلّى من أعلى فتحة الرقبة. وعلى عكس القبة نجد الظهر خاليا من التطريز إلا ما كان من التسقيطة، فالظهر ليس موطنا لجمال المرأة، كما أنّه مغطّى بغطاء الرأس كالغدفة، أو الشاشة، أو الشنبر، وهذا الغطاء يخفي الظهر كاملا وصولا لما أسفل الخصر مغطيا نصف الفخذين أو أكثر أحيانا. أمّا ما يقع على الكتف فوق القبة فيطرّز بوحدات زخرفية أغلبها من الطيور، حيث يتقابل الطيران مع بعضهما بعضا كأنّهما يتهامسان ويتناجيان بإيحاء للعلاقة الحميمية بين الزوجين، وأبرز هذه الطيور ما كان ضمن بيئة القرويّ الفلسطيني كالدجاج، والعصافير، والحمائم. أما الذيال وهي ما يقع أسفل الثوب فقد طرّزت بكثافة لتمنح الثوب ثقلا؛ كي لا يعبث به الريح فيرتفع كاشفاً عما تحته، وذلك حياء وعفة من المرأة. كما أنّ لهذه المطرّزات في بعض المناطق دلائل ورسائل سرية لا يفكّ رموزها إلا أهل تلك المنطقة، فهي تخبر الناظر بذكاء عن حالة المرأة الاجتماعية من عزوبية، أو زواج، أو ترمّل دون أيّ إحراج بسؤال أو حديث (قعوار وناصر، 1992).

وأخيرا فخصوصية التطريز حول فتحات الثوب متمثلة بالكمّين والذيال وفتحة الرقبة (العبّ)، وما لحق بها من حبكة الكمّين وفتحة الرقبة فقد عزاها جرادات (2011) إلى أثر أسطوري وثنيّ قديم نابع من اعتقاد شعبي، بأنّ الأرواح الشريرة يمكن أن تتسلل من خلال الفتحات الموجودة في لباس الإنسان، لذا لجأت المرأة الفلسطينية إلى تطريز فتحات ونهايات الثوب بطلاسم وخيوط تحميها من تلك الأرواح.

الأجيال التي تأثرت مطرّزات أثوابها بالأحداث السياسية

عند الحديث عن الأجيال الفلسطينية التي ارتدت الثوب المطرّز، في فترة البحث الممتدّة بين عامي (1900 – 2000)، فإنّنا نستطيع أن نجملها بخمسة أجيال، على النحو الآتي:

الجيل الأول: يمثل النسوة اللاتي ولدن بين عامي (1900 – 1915) تقريبا، وقد هجّر منهنّ البعض وأصبحن لاجئات داخل وخارج الوطن، وقد لبس هذا الجيل من النسوة الثوب المطرّز كثوب اعتيادي طوال اليوم، ولم يلبس غيره بمناسبة أو عمل، وقد اعتمدنه كأسلوب حياة، ونرى في هذا الجيل تمسّكه بالثوب المطرّز، وعدم تأثره بأيّ عامل يحدّ أو يغير من لبسه الموروث، ويعدّ الثوب المطرّز في هذا الجيل امتداداً طبيعياً لما سبقه، وهو الأكثر أصالة وحفاظا لموروث القرية الأصل للنسوة اللاتي أصبحن في الشتات. وقد لازمه أيضاً غطاء الرأس وما يحتويه بكلّ تفاصيله (وقاة، عراقية، قدلة16، شنبر17، غدفة، ملاية).

الجيل الثاني: يمثل من ولدن بين عامي (1920 – 1930) تقريبا، وهنّ بنات الجيل الأول الذي خرج لاجئا من قراه، حيث لبست نسوة هذا الجيل الثوب المطرّز واعتمدنه كثوب يومي دائم كالجيل السابق، إلا أنّهنّ اكتفين بلباس «الغدفة» غطاء للرأس، وقد ندر رؤية الشنبر والملاية في هذا الجيل، وبذلك فقدت الوقاة، والعراقية، والقدلة، والشنبر، والملاية من الزيّ التقليدي ابتداء من هذا الجيل، كما أنّ هذا الجيل هو الأخير الذي لبس ثوب «أبو ردان» حيث فقد في الجيل الثالث.

الجيل الثالث: يمثل النسوة اللاتي ولدن بين عامي (1930 – 1945) تقريبا، وفي هذا الجيل بدأ التحوّل والتغيّر يعبّر عن واقع جديد، فقد لبست النسوة فيه الثوب المطرّز ابتداء، إلى أن شارفن للعشرينيات من أعمارهن، وبعدها لم يعد الثوب المطرّز ثوب الحياة اليومية، بل اعتمدت الكثير من النسوة على الثياب الجاهزة التي تباع في الأسواق، وواكبن الموضة والألبسة الحديثة مثل التنّورة والفستان، والثياب المفصّلة عند الخيّاطة، واقتصرن بلباس الثوب على الزيارات، والأعياد، والأعراس، والمناسبات المختلفة.

الجيل الرابع: يمثل النسوة اللاتي ولدن بعد عام (1950) تقريباً، وهنا كان التحوّل الجذري في اللباس المطرّز، فلم يلبس الثوب بتاتاً، واستعيض عنه باللباس الجاهز الذي في الأسواق، ومواكبة الموضة كالفستان والتنورة، ومنها تفصيل ما يسمّى «مَكْسي»، وهو فستان طويل. كما لمسنا تأثر هذا الجيل بالصحوة الإسلامية، متمثلة بالحركة الإخوانية أولا، والسلفية فيما بعد، فقد غزا الأسواق في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين الجلباب ذو المسحة الإسلامية، المتوافق مع شروط اللباس الإسلامي، حيث واكب ذلك ترك المطرّزات من الملابس، أخذا ببعض الفتاوى التي تمنع لبس المطرّز من الثياب كونها تندرج تحت (المزركش، والمنقّش، والمزخرف، والمزيّن) الذي يحرم لباسه بحسب الفتاوى. إلا أنّه يجب التنويه هنا أنّ مسار التطريز في هذ الجيل نحى منحى آخر، فقد طرّزت مطرّزات عديدة من غير الثوب، فأبدعت المرأة تطريز الأشكال المعلقة على الجدران، والمفارش، والحقائب، والتذكارات، والمناظر الكثيرة المتعدّدة الموزّعة في أطراف البيت هنا وهناك.

الجيل الخامس: يمثل النسوة اللاتي ولدن في سبعينيات القرن الماضي وما بعده، وقد تمسّك هذا الجيل بالثوب كأداة للمقاومة في بحثه عن هويته الفلسطينية، وفي كلّ ما يوقظ فيه

حبّه العارم وحنينه لأرضه وشعبه، فقد عصفت في هذا الجيل أحداث كبيرة كاجتياح لبنان، وانتفاضة الحجارة، ومعاهدة أوسلو، ومجزرة الحرم الإبراهيمي، وغيرها، فارتدى الثوب المطرّز والكوفية الفلسطينية (البيضاء والسوداء) للرمزية الوطنية لهما في الأعراس والأفراح، وكذلك في الندوات، والأمسيات، والمسيرات، والمحافل المحلية والدولية، ليبقى بذلك الثوب نابضا حيّا عبر الأجيال جميعها متلوّنا متماهيا مع تغيّر أسلوب ونمط الحياة.

واستناداً للتوضيح السابق فإنّ الجيل الأول قد تأثر بالانتداب البريطاني، والثورة الفلسطينية الكبرى، أمّا الجيل الثاني فقد تأثر بهجرة الصهاينة إلى فلسطين، والنكبة، وزيارة هامرشولد لفلسطين ثم موته، وتأثر الجيل الثالث بحرب أكتوبر، وزيارة الرئيس أنور السادات «لإسرائيل»، واتفاقية كامب ديفيد، وأخيراً فقد تأثر الجيل الرابع وبشكل محدود والجيل الخامس بشكل أوسع بانتفاضة الحجارة، فارتدت فيهما النسوة أشهر ثوب تأثر بالأحداث السياسية، بل ما كان نتاجا خالصا لها وهو «ثوب الانتفاضة» بكل ما حواه من مكونات.

المطرّزات الموروثة

إنّ التوزيع العام للمطرّزات على ثياب المرأة الفلسطينية المعاصرة إنّما هو امتداد للتوزيع الزخرفي الكنعاني، وقد احتوى التطريز على وحدات زخرفية موروثة ومتنوّعة، فمنها هندسي كالمثلث، والمربّع، ونباتي مثل الأشجار، والأزهار، والبتلات، وحيواني مثل الطيور، وهي خالية من الأشكال الآدمية والحيوانية على الأغلب (المزين، 1981)، وهذه المطرّزات إمّا صغيرة وبسيطة، أو كبيرة ومعقدة، ومعظم المطرّزات مبنية على نظام التماثل، أي أنّ نصفها يتطابق مع النصف الآخر، ما عدا تلك المبنية على أساس فردي مثل الطيور والأزهار والحيوانات (علقم ومنصور، 1989). وللمتأمّل في المطرّزات على الثوب الفلسطيني يجد بعض المطرّزات تتكرّر في الثوب الواحد في أجزاء مختلفة، وأبرز المطرّزات المنتشرة في جغرافية فلسطين أوردها المزيّن (1981):

المثلث: شكل قديم ظهر لدى أجدادنا الكنعانيين في أريحا[18]، وكانوا يعتقدون بأنّه يحميهم من القوى الشريرة والحسد، ويعرف باسم (الحجاب)، ويظهر بأشكال متقابلة يعلوه أشجار سرو، ويكثر استخدامه حول الكمّ والذيال (الردفة) على أسفل البدن الخلفي، وقد زخرفت المرأة المبدعة هذه المثلثات بأشكال أخرى نتج عنها عروق مختلفة أبرزها عرق السرو، ومفتاح الخليل، والدرج، والحجابات.

المربع: ظهر هذا الشكل على الأزياء الشعبية الكنعانية حوالي (1900 ق.م)، ويظهر في معظم الثياب ويتركّز وجوده على الصدر؛ إذ تحصر في داخله الزخارف (الأقمار).

الأزهار والورود والطيور: للورود والأزهار أشكال عديدة ظهرت على الثياب الشعبية الفلسطينية، وظهرت في مناطق مختلفة في فلسطين مثل عرق الحنّون، وعين البقرة، ومنها أنموذج يستخدم فقط خلف الثوب وقد ظهر في ثوب الخليل ورام الله والرملة، ويعرف بالزهرة المربّعة أو باسم خيمة الباشا، كما ظهرت الطيور بأشكالها المتعدّدة مثل الدجاجة والديك والعصافير. يضيف أيضا الباحث أبو جبين (2012) فيما يخصّ الأزهار والطيور بأنّ الكنعانيين القدماء اهتموا بها، عندما ربطوا بينها وبين المواسم الزراعية الخاصّة بهم، وقد بالغوا في استخدام زهرة الحنّون (شقائق النعمان)، التي اعتبروها مثالا هامّا لفترة الخصب والنماء في فصل الربيع. أمّا استخدام الطيور في فنّ التطريز، فقد برع الكنعانيون فيه لما له من دلالة على السلام الذي كان رمزا للحياة القروية لدى الإنسان الكنعاني القديم، خاصّة في منطقة بيسان.

أمّا المطرزات والرسوم التفصيلية فتكاد لا تحصى، منها: الأمشاط، سكّة الحديد، الدرج، السلّم، فلقات الصابون، النخل العالي، عناقيد العنب، التفاح، السنابل، قواوير الورد، قدور الفاكهة، البندورة، الخبيزة، الزهور، الورد، سنان الشايب، مخدّة العزّابي، شيخ مشقلب، شبابيك عكّا، علب الكبريت، المكحلة، الحية، العربيد، العلقة، شجرة العمدان، القمر المريّش، الأقمار، قمر بيت لحم، الفنانير، القلايد، الريش، الفاكهة، القرنفل، الحلوى، مفتاح الخليل، وغيرها (أبو جبين، 2012).

المطرّزات المستحدثة

تعدّ القطبة الفلاحية المصلّبة أهمّ القطب في التطريز الفلسطيني، حيث أنّها لازمت فنّ التطريز الفلسطيني عند الكنعانيين منذ القدم، ولا يكاد يخلو ثوب فلسطيني من هذه القطبة باستثناء بعض الثياب كثوب «التحريرة» المنتشر في بيت لحم (أمين، 2009)، وقرى بيت جالا وبيت ساحور ولفتا وسلوان وأبو ديس من قضاء القدس أيضا. وقد أثرت الأحداث السياسية في مطرّزات ثوب القطبة الفلاحية فقط، ولم تتأثر ثياب التحريرة والطارة والماكينة بذلك. حيث وقع تأثير الأحداث السياسية على الثوب المطرز بضربين الأول منهما تمثل بإنتاج مطرّزات إبداعية معاصرة جديدة لم تكن متوارثة عبر الأجيال، وهذه المطرّزات يمكن تمييزها باحتوائها على رموز وطنية كعلم وخريطة فلسطين، وعبارات تدل على ذلك مثل كلمة فلسطين باللغتين العربية والانجليزية، أو عبارة «عيدنا بتحريرنا»، أو «القدس لنا»، أو «القدس حرة»، وكذلك على طير طرّز بألوان العلم، أو باحتوائها على رموز المقاومة كالبندقية وغيرها. أما الضرب الثاني فكان عبر تغيير أسماء مطرّزات موروثة إلى أسماء جديدة ذات بعد سياسي، أي أنّ التغيير حدث للاسم فقط وليس للمطرّزة، مثل عرق بيغن والسادات، والصاروخ، وهامرشولد، وخط بارليف، وقبور اليهود، وغيرها، وسيأتي تفصيلها لاحقا.

التركيب الديموغرافي والاجتماعي في فلسطين

لأول مرة في تاريخ فلسطين الحديث جرى تعداد للسكان في عام (1922)، حيث بين هذا التعداد الوضع الديموغرافي للسكان، وقد قدّر عدد سكان فلسطين حينها بحوالي (752) ألفا، موزعين كالآتي: (589) ألفا من المسلمين، و(83) ألفا من اليهود، و(71) ألفا من المسيحيين و(8) آلاف آخرين. علما أنّ عدد اليهود في فلسطين بلغ عام (1837) نحو (1500) نسمة فقط، ثم بدأت أعداد اليهود بازدياد متسارع بسبب الهجرات اليهودية الصهيونية فأصبح عددهم عام (1840) نحو (10) آلاف نسمة، وبلغ (22) ألفا عام (1881)، وزاد عن (168) ألفا عام (1914)، ليصل عدد المهاجرين سنة (1948) نحو (483) ألفا. كما أنّ عدد المسيحيين قد تزايد في فلسطين أيضا نتيجة قدوم بعض الجاليات المسيحية الأوروبية حيث ارتفعت نسبة المسيحيين من (10 %) عام (1850) لتصل إلى (16 %) عام (1914).

وعند العودة لتعداد اليهود في فلسطين عام (1837) حيث بلغ (1500) نسمة، يتبين لنا وبوضوح زيف وكذب ادعاء اليهود بنسبة التطريز الفلسطيني للإرث اليهودي، فكيف ذلك والتطريز منتشر في أغلب قرى فلسطين التي يقطنها العرب الفلسطينيون؟

أما فيما يتعلق بالتركيب الاجتماعي للسكان العرب وتوزيعهم على الريف والحضر، فقد قدرت نسبة الريف (القرى والبدو) بنحو (73 %) من عدد السكان، والحضر (27 %) في عام (1922). وقد ارتكزت الحياة الاقتصادية على الزراعة بشكل رئيس، وكان الإنتاج الصناعي هامشيا ذا صبغة زراعية موجها نحو الاستهلاك المحلي، وكانت الصناعة تمارس في البيوت والورش الصغيرة.

وتجدر الإشارة أنّ التركيب الاجتماعي لسكان فلسطين تميز بالتنوع والتداخل معا بسبب تفاعل الطابع العشائري والديني والعرقي. وكان لهذه المؤثرات أثر كبير في الانتماء الجماعي (القبلي والعائلي) أكثر من الانتماء إلى الطبقة الاجتماعية (عليا، وسطى، فقيرة)، وتجلّى ذلك بظهور النزاع بين اليمنيين والقيسيين لفترة طويلة. أما الفروق بين الأغنياء والفقراء فقد كانت مميزة وواضحة (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج1، 1990).

أما توزع الفلسطينيين في عام (2002) الذي بلغ عدده حوالي (9،5) مليون نسمة، فكان على ثلاثة تقسيمات جغرافية، كما بينها صالح (2004):

أولا: في فلسطين المحتلة سنة (1948) بلغ نحو (1،2) مليون نسمة، أي ما نسبته (13 %).

ثانيا: في فلسطين المحتلة سنة (1967) بما فيها القدس الشرقية بلغ نحو (3،5) مليون نسمة، أي ما نسبته (36 %).

ثالثا: الفلسطينيون خارج فلسطين بلغ نحو (4،8) مليون نسمة، أي ما نسبته (51 %).

أبرز الأحداث السياسية التي أثرت في مطرّزات الثوب الفلسطيني عاش الفلسطينيون في ظل الدولة العثمانية منذ عام (1516) إلى أن قدم الحكم العسكري البريطاني سنة (1918) والذي كان بداية لتحقيق بنود الصفقة بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني المتمثلة بوعد بلفور لإرساء الوطن القومي اليهودي الذي لم يكن يعني لدى الصهاينة سوى الدولة اليهودية، وإلى حين إتمام المصادقة دوليا على اقتسام الحلفاء للأقطار العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية في (1923) وضعت بريطانيا كل جهودها لتهويد فلسطين (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990). ثم توالت بعدها الأحداث السياسية نتيجة لزرع «إسرائيل» في خاصرة الوطن العربي. وإليك أهم هذه الأحداث السياسية، أوردها صالح (2004):

الانتداب البريطاني: أتم البريطانيون احتلال فلسطين في (1918)، ومنذ هذا الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، ثم وفرت بريطانيا لنفسها غطاء دوليا باستصدار قرار من عصبة الأمم في (1922) بانتدابها على فلسطين. ومنذ اليوم الأول للحكم البريطاني عمل البريطانيون على تحقيق أطماع الحركة الصهيونية، ولم يخف ذلك على العرب طويلا حيث تكشف المخطط بتهويد فلسطين من خلال الهجرة اليهودية وبناء المستوطنات والمؤسسات اليهودية، لتبدأ بعدها ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية، والمقاومة ضد البريطانيين والصهاينة على حد سواء، وكان أبرز محطاتها: انتفاضة موسم النبي موسى في القدس (1920)، وانتفاضة يافا (1921)، وثورة البراق (1929)، وثورة الكف الأخضر (1930)، وانتفاضة أكتوبر (1933)، والثورة الفلسطينية الكبرى (1936 – 1939).

حرب 1948: يعد الاحتلال «الإسرائيلي» لفلسطين في سنة (1948) الحدث السياسي الأهم، حيث مثلت هذه النكبة أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث؛ إذ إنها الحرب التي أودت إلى هزيمة العرب وسقوط (77 %) من أرض فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي» وإنشاء كيانه عليها، وتشريد (800 ألف) فلسطيني من أرضه ودياره أي ما نسبته (60 %) من الشعب الفلسطيني.

حرب 1967: لم يكن الكيان «الإسرائيلي» سعيدا بمساحة الأرض التي اقتطعها من فلسطين في حرب (1948)، وكان يرغب في المزيد من التوسع لفتح باب الهجرة لليهود ولتوسعة الاستيطان، وكان يفتقد الشعور بالأمان في حدوده مع البلدان العربية، ويتخوف من تهديد سوريا ومصر له، وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام (1964) وبدء عملياتها ضد العدو «الإسرائيلي»، وغيرها من الأسباب سارع من بدء «إسرائيل» الحرب في (1967) على جبهات مصر وسوريا والأردن، وقد كان من نتائج هذه الحرب هزيمة الجيوش المصرية والسورية والأردنية، وضياع كامل فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي»، وتشريد نحو (330) ألف فلسطيني.

حرب أكتوبر 1973: شكلت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية مجلسا أعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية المشتركة، وبدءا الهجوم على الكيان «الإسرائيلي» في عام (1973)، وقد حقق الهجوم انتصارات على الجبهتين المصرية والسورية، ومن نتائج هذه الحرب انسحاب الكيان «الإسرائيلي» من جيب سعسع، ومدينة القنيطرة وما حولها التي احتلت في سنة (1967)، كما انسحبت إلى شرقي قناة السويس.

الانتفاضة المباركة 1987: وسميت انتفاضة الحجارة أيضا، لأنّ الحجارة كانت أداة الهجوم والدفاع التي استخدمها الفلسطينيون ضد عناصر الجيش «الإسرائيلي»، وقد انطلقت عام (1987) إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمد من صهيوني، واستمرت الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات والمظاهرات والمقاطعة، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات إلى أن هدأت وتوقفت في سنة (1993) بعد اتفاقية أوسلو. وقدّر بعد نهاية الانتفاضة أنّ (1540) فلسطينيا استشهدوا، وعشرات الآلاف بين جريح ومعتقل.

أثر الاحتلال (الإسرائيلي) في مطرّزات الثوب الفلسطيني

يعد الاحتلال الصهيوني[19] الحدث السياسي الأهم الذي أثر في مطرّزات الثوب الفلسطيني بصفة مباشرة وغير مباشرة، فقد تعرض الثوب الفلسطيني إلى عمليات انتحال وتهويد وطمس على أيدي الاحتلال «الإسرائيلي» بأساليب متنوعة منذ النكبة (1948) إلى اليوم، كجمع المطرزات وأرشفتها ثم عرضها في المتاحف والأماكن العامة، والمعارض المتنقلة في عواصم عالمية على أنها تراث «إسرائيلي»، والعمل على تشويه المطرّزات بإدخال

وحدات زخرفية غريبة عن التطريز الأصيل والموروث، وإقامة دور الأزياء والمهرجانات في عواصم أوروبية وأمريكية وعرض الزي الشعبي الفلسطيني بصفته زيا صهيونيا؛ كمعرض زوجة «موشيه ديان» في البيت الأبيض الأمريكي وقد ظهرت فيه ترتدي ثوب عرب التعامرة، وكذلك إصدار كتب ووثائق حول التراث الفلسطيني الكنعاني ونشره على أنه تراث صهيوني وتوزيعه على مسافري شركة العال «الإسرائيلية» واعتماد الثوب المطرز الفلسطيني زيا رسميا لمضيفات هذه الشركة أيضا (جرادات، 2011). ويرى عبد اللطيف (2012) أنّ هذه الحملة "الإسرائيلية" الشرسة كانت إحدى الدوافع الأساسية في الصحوة والاهتمام بتراثنا وحمايته وتكريس هويته وذاته كعنصر للهوية والوجود. وهذا ما ذهب إليه القس منصور حيث وضح أنّ سكان فلسطين قد حافظوا منذ الكنعانيين إلى أواخر القرن الثامن عشر على ارتداء الأزياء المطرّزة التقليدية، ومع أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يتخلون عن الملابس التقليدية، ففي الربع الأول من هذا القرن بدأت تحلّ الثياب الإفرنجية عموما محل الملابس العربية، لكنّ الشعب الفلسطيني استدرك ذلك بعد عدوان (1967)، فأقبلت النساء حتى المدنيات منهنّ على ارتداء الثوب الوطني الفلسطيني (المطرّز) والاعتزاز به والترويج له ضمن حركة عامّة لاستعادة الثقة بالذات وبالتراث والهوية العربية الفلسطينية في مختلف تعبيراتها وتجلياتها، **وعلى الرغم من أنّ الاستفاقة لم تتعدّ حدود الاحتفال الفولكلوري والحثّ على البحث العلمي والتبويب والتصنيف فإنّ أمرين قد ظهرا في هذه الحركة**:

- **أولهما**: أنّ الشعب حين يحسّ أنّه أمام تحدّي المصير يعود إلى مكوّنات شخصيته التاريخية والحضارية ليستعيد الثقة باحتمالات بقائه في مقارعة عوامل الزوال والاضمحلال.
- **ثانيهما**: أنّ استفاقة الشعب العربي في فلسطين على تراثه أظهرت خيبة أمل الشعب في كلّ التفسيرات التاريخية البريئة أو المغرضة التي أوهمته أنّ التخلّي عن تراثه هو طريقه إلى القوّة والنهوض ودخول العصر (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990).

ومن ناحية أخرى فقد كان لتشريد الفلسطينيين في مخيمات اللجوء في الداخل الفلسطيني وفي دول الطوق أثرا على مطرّزات الثوب، فقد كانت النسوة داخل القرية الواحدة تستعير ثوبا من جارتها أو إحدى أقاربها لتنسخ منه المطرّزات على الثوب الجديد، ولذلك كانت الخيارات في المطرّزات قليلة والتشابه بينها كبير، وفجأة تجمعت النسوة من قرى عديدة وأماكن متنوعة في مخيم واحد ضيق تعرف النسوة فيه الجميع، فباتت المطرّزات الجديدة متاحة والخيارات عديدة وسهلة المنال، ولهذه الأسباب ظهرت ثيابا تحمل مطرّزات متنوعة من أماكن جغرافية متباعدة لتتلاشى بذلك مطرّزات القرية الواحدة الموروثة عبر الأجيال وتظهر ثيابا تحمل مزيجا من المطرزات، وبذلك لم يعد ثوب المرأة يمثّل السفير الخاصّ لقريتها، بل اختلطت الثياب والمطرّزات بألوانها ووحداتها الزخرفية منتجة طابعا جديدا من الثياب المطرزة.

مشكلة الدراسة

تتوضح مشكلة الدراسة من خلال ندرة المطرّزات التي تأثرت بالأحداث السياسية، سواء كان هذا التأثير بإنتاج وحدات زخرفية جديدة، أم من خلال تغيير اسم المطرّزات الموروثة لاسم جديد يتناسب مع الحدث السياسي، ولذلك بثت المطرّزات في الكتب، والمقالات، والمصادر المختلفة؛ ما جعل من جمعها وتبويبها معضلة أمام الباحثين، وكذلك لوقوع بعض الباحثين في مجال التطريز بالالتباس بين ما استحدث من مطرّزات، وما تبدل اسمه فقط؛ ما أوقعهم بالخطأ والوهم، كما أنّ ورود هذه المطرّزات في المصادر قد اقتصر غالبا على ذكر اسمها فقط، دون الوقوف عليها شرحاً، أو إرفاقاً لمطرزاتها، ما أفقد هذه المطرّزات مضمونها الحسي، الذي عليه مدار البحث، والجمع، والتصنيف، والتطريز لاحقا إن أمكن، **ما جعل من تسليط الضوء على هذه المطرّزات حاجة ضرورية في هذا الحقل. وعليه يحاول الباحث الإجابة عن التساؤلين الآتيين**:

◄ **السؤال الأول**: ما هي المطرّزات التي استحدثت في الثوب الفلسطيني تأثراً بالأحداث السياسية، بين عامي (1900 – 2000)؟

◄ **السؤال الثاني**: ما هي المطرّزات التي تغيرت أسماؤها في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900–2000)؟

الدراسات السابقة

يضع الباحث بين يدي القارئ جملة من الدراسات التي تناولت موضوع البحث، مرتبا إياها من الأقدم إلى الأحدث، كما يلي:

قام **العلان (2011)** بدراسة وضح فيها أثر التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني المطرّز، وبين أنّ الشعب الفلسطيني واحد من شعوب الأرض التي عاشت تجربتها الحضارية وخاضت ما لا يمكن تعداده من الصراعات من أجل الدفاع عن مكوناته الثقافية وهويته التي تشكلت عبر السنين، وفي مقدمتها نقوشه ورموز معتقداته التي خلدتها ثياب النساء المطرّزة الموروثة عبر الأجيال المتلاحقة، كما بين تاريخ ودلائل وإشارات المطرّزات المتعددة، حيث أنها تتجدد في كل مرحلة من تاريخ الشعب الفلسطيني بنماذج من التطريز تلائم الحدث؛ فلا غرابة أن نجد لدينا عرق "المندوب السامي" أيام الانتداب البريطاني، وعرق "بيجن والسادات" عقب اتفاقية كامب ديفيد، وغيرها.

وسعت دراسة **جرادات (2011)** على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني، وهو المطرّزات والأزياء الشعبية التراثية، لتنميتها والمحافظة عليها؛ إذ وضحت الدراسة أنّ من بين مدلولات التطريز بعد النكبة والنكسة تجسيد البعد الوطني وحنين العودة للمدن والقرى المهدمة. حيث عبّرت المرأة الفلسطينية من خلال المحافظة على تطريز الأمهات والجدات على حرصها الشديد في المدافعة عن الهوية والأرض والتاريخ والشعب، وتجلى هذا في مطرّزة "خريطة فلسطين" التي رمزت للعودة والوطن، كما بينت الدراسة القيمة الاجتماعية للتطريز، كالتعبير عن حالة التشرّد والتشتت التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، والتعبير عن الانتماء السياسي والنضالي من خلال ألوان التطريز وزخارفه.

وهدفت دراسة **أبو جبين (2012)** الكشف عن الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل، في قرى دورا، والظاهرية، ويطا، والسموع، وما يتبعها من قرى وخرب وأماكن سكنى متفرقة، حيث تتمتع هذه المناطق بزي واحد تقريبا، وقد سلك الباحث المنهج الوصفي

مستعينا بالمصادر المكتوبة، والإلكترونية، والخبرة الشخصية، والمقابلة مع بعض المعمرات من النساء. وخلصت النتائج إلى تشابه الزي التقليدي المطرّز في جنوب الخليل، كما كشفت النتائج أثر الأحداث السياسية في مطرّزات الثوب الفلسطيني كظهور عرق "خط باراليف"، معللا سبب تسميته بهذا الاسم.

كما أجرى **عبد اللطيف (2012)** دراسة هدفت التعريف بالزي الشعبي الفلسطيني، وتوضيح مراحل تطوره التاريخية، ومدى أهميته ودلالاته المختلفة، وطبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة فيه، وما تعكسه من دلالات اجتماعية، واقتصادية، وعمرية، ودينية بين طبقات وشرائح المجتمع الفلسطيني. كما وضحت الدراسة أثر الأحداث والحروب والمآسي والانتفاضات على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه وأشكاله، وتجلى ذلك فيما سمّي "ثوب الانتفاضة" الذي ظهر في الخليل بعد انتفاضة الحجارة عام (1987).

وقامت **الكسواني (2013)** بدراسة الأزياء الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، كخطوة للحفاظ عليها من خطر تعرضها للهجمة "الإسرائيلية" التي تهدف إلى طمس التراث الفلسطيني العريق، وتهويده، وتهميش الهوية الفلسطينية وإضعافها. وقد كشفت نتائج الدراسة تعدد أشكال تهويد التراث الشعبي الفلسطيني، كان أهمها انتحال الملابس الشعبية الفلسطينية، والادعاء بصهيونيتها، كما قدمت بنهاية الدراسة مجموعة من التوصيات كان أبرزها ضرورة الحفاظ على تراثنا الشعبي، والتأكيد على إبرازه، والتمسك بالملابس الشعبية بصفتها جزءا من الهوية الوطنية الفلسطينية.

تعقيب على الدراسات

أظهرت الدراسات السابقة تعددا في خصائص التطريز، وميزاته، ومدلولاته، وأصوله، ففي دراسة أبو جبين (2012) وضحت جوانب الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل، وفي دراسة عبد اللطيف (2012) تناول الزي الفلسطيني المطرّز بشكل عام عبر مراحل تطوره التاريخية، ومدى أهميته، ودلالاته المختلفة، وطبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة فيه، وأثر الأحداث والحروب والمآسي والانتفاضات على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه وأشكاله، أما دراسة الكسواني (2013) فقد تناولت الأزياء الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، كخطوة للحفاظ عليها من خطر تعرضها للهجمة "الإسرائيلية" التي تهدف إلى طمس التراث الفلسطيني العريق، وتهويده، وتهميش الهوية الفلسطينية وإضعافها، وفي دراسة العلان (2011) وضح أثر التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني المطرز، وبين أنّ الشعب الفلسطيني دافع عن مكوّناته الثقافية وهويته عبر ثياب النساء المطرزة الموروثة عبر الأجيال، كما بين تاريخ ودلائل وإشارات هذه المطرزات، كما أنّ بعض هذه الدراسات تناولت أثر الأحداث السياسية على مطرزات الثوب كدراسة (العلان، 2011)، ودراسة (جرادات، 2011)، ودراسة (أبو جبين، 2012)، ودراسة (عبد اللطيف، 2012). إلا أنه يؤخذ على هذه الدراسات عدم الوقوف على هذه المطرزات التي تأثرت بالأحداث السياسية توضيحا وشرحا وإرفاقا لمطرّزاتها التي وقع عليها التأثير، وهذا ما تتناوله هذه الدراسة، وما يميزها عن غيرها هو أصالة تبيان هذه المطرّزات من جوانب عديدة، كأسمائها، وموضعها، والحدث السياسي المؤثر فيها، وسنة وقوعه، وإرفاق المطرّزة أيضا؛ ما يجعل منها مطرّزات حية نابضة بين أيدي الباحثين والمختصين.

التعريفات الإجرائية

الحدث السياسي: كل حدث سياسي كان له دور في القضية الفلسطينية بين سنتي (1900 – 2000)، وما تبعه من تأثير مباشر أو غير مباشر على الأرض أو الشعب.

المطرّزة: مجموعة القطب التي تُنتج شكلا متفرّدا يسهل تمييزه عن غيره، كالوردة، أو الطير، أو المربع، أو المثلث، وقد يكون بسيطا، أو معقدا.

القطبة الفلاحية: قطبة تأخذ شكل حرف (X) باللغة الإنجليزية، وتسمى أيضا القطبة المصلبة، وتطرّز بخيوط قطنية أشهرها خيوط (DMC) الفرنسية.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: الفترة الممتدة بين عامي (1900 – 2000).

الحدود المكانية: مناطق انتشار الغرزة الفلاحية المصلبة، في وسط وجنوب فلسطين.

الحدود المنهجية: سلك الباحث المنهج التاريخي لمناسبته الدراسة.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الكشف عن أثر الأحداث السياسية المهمة التي أثرت في مطرّزات الثوب الفلاحي الفلسطيني النسوي، مبينة هذه التغيرات في المطرّزات من حيث اسمها، وموقعها من الثوب، والحدث السياسي المؤثر فيها، وسنة حدوثه. وكذلك شرح التغيرات في المطرّزات بنوعيها الأول الإبداعي لمطرّزات جديدة، والثاني المتمثل بتغيير اسم المطرّزة الموروثة باسم جديد يتناسب والحدث السياسي.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة من أهمية ومكانة الثوب الفلسطيني النسوي المطرّز محليا؛ لانتشاره الواسع في جغرافية فلسطين، ولارتباطه وجدانيا وماديا بإرث الأمهات والجدات، وعربيا ودوليا أيضا؛ إذ أصبح الثوب المطرّز اللباس الوطني الفلسطيني في المحافل والمناسبات المختلفة، فبات سمة يعبر من خلالها عن القضية الفلسطينية من نواحي عديدة ثقافية، وجغرافية، وسياسية. كما تنبع الأهمية أيضا من خلال لفت أنظار المهتمين بالتطريز، والمعنيين من الباحثين، والقائمين على المتاحف للإفادة من نتائج الدراسة وتوصياتها، بهدف التطوير والتحسين على هذا الفن.

كما ستساعد الدراسة على فتح المجال أمام الباحثين والمهتمين لإجراء دراسات حول مكونات التطريز الأخرى لدى عينات جديدة من الأثواب، كما تأتي الأهمية أيضا من خلال توضيح تفاعل مطرّزات الثوب مع ما وقع من حوادث مهمة أثرت في القضية الفلسطينية، ومن تناول موضوع لم يطرق من قبل بشكل منفرد بدراسة مستقلة بشكل مفصل وواضح، ومن إرفاق المطرّزات وعدم الاكتفاء بتناول أسمائها فقط؛ ما جعل من مطرّزات هذه الدراسة محسوسة ومفهومة، وبذلك يستطاع الاستفادة منها وتطريزها على

الثوب، أو على غيره بشكل حي ومتيسر في أي وقت.

إجراءات الدراسة

استطاع الباحث خلال عمله الميداني في جمع وتصنيف مطرّزات الثوب الفلاحي التقليدي النسوي، ودراسة ما يتعلق بها أن يقع على مسميات عروق ومطرّزات ذات دلالة سياسية تتعلق بقضية فلسطين الحديثة، فعمد على جمع هذه المطرّزات وتبويبها وتدوين الملاحظات عنها، وذلك من خلال المقابلة الشخصية المباشرة، أو بالعودة للمراجع المهمة في التطريز من كتب ومؤتمرات ومعارض ومقابلات حوارية مع مختصين وخبراء في التطريز الفلسطيني، وبعد جمع ما أمكن جمعه من معلومات ومطرّزات قام الباحث بتفريغ المطرّزات الموجودة على الثياب التي تم استعارتها، أو من صور بعض الثياب الموجودة في مواقع الإنترنت على الورق، حيث اعتمد ورق مكون من خلايا مربعة الشكل بضلع (2 مم) بحيث يمثل كل مربع منها قطبة واحدة، ما وضح المطرّزة وحفظها بشكل يسهل تمييزه ونقله للقماش أيضا.

نتائج الدراسة ومناقشتها

بعد جمع البيانات توضّحت نتائج الدراسة من خلال الإجابة عن تساؤليها، الآتيين:

السؤال الأول: ما هي المطرّزات التي استحدثت في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900 – 2000)؟

وقع تأثير الأحداث السياسية على الثوب المطرّز بضربين الأول منهما تمثل بإنتاج مطرّزات إبداعية معاصرة جديدة لم تكن متوارثة عبر الأجيال، مثل علم وخريطة فلسطين، وقبة الصخرة، والكتابة باللغتين العربية أو الإنجليزية وغيرها، وقد انتشرت هذه المطرّزات بأماكن التطريز على الثوب جميعها (البدن، القبة، الكم، الذيال)، ولم يقع هذا التغيير بشكل شمولي لكافة مطرّزات الثوب إلا لثوب واحد سمّي «ثوب الانتفاضة»، حيث يعدّ هذا الثوب ثوبا منفردا بجميع مطرّزاته التي تمثل رموز المقاومة والوطنية.

ثوب الانتفاضة: ثوب مطرّز بالقطبة الفلاحية المصلبة، حوى على مطرّزات: علم وخريطة فلسطين، وقبة الصخرة، وكلمة فلسطين باللغتين العربية والإنجليزية، وعبارات أخرى مثل: «عيدنا بتحريرنا»، و «القدس لنا»، و «القدس عربية»، و «القدس حرة»، كما حوى على البندقية، وطير ملون بألوان العلم الفلسطيني، وغيرها من الرموز الوطنية الفلسطينية. أمّا فكرة تطريزه فقد ذكرتها قعوار (1992)؛ إذ ظهر في عام (1987) في منطقة الخليل بعد اندلاع انتفاضة الحجارة، ثم انتشر لاحقا في المنطقة، وحينها كان من العسير رفع العلم الفلسطيني في الشوارع لأسباب عديدة على رأسها منع الاحتلال ذلك، فلجأت النسوة لتطريز العلم على الثوب ليكون حاضرا دون عناء رفعه، داخل فلسطين وخارجها، وقد ظهر في الأردن لاحقا؛ إذ شوهد على ثياب الشابّات في عمّان والزرقاء وإربد. ويؤخذ على هذا الثوب بعد تأمل مطرّزاته قلة دقة تطريزه، وعبثية وارتجال المطرّزات فيه، ويعزى ذلك لسرعة تنفيذ فكرته الطارئة مع اندلاع الانتفاضة، وعدم موروث مطرّزاته أيضا، انظر إلى الصور في الملحق رقم (19، 20، 21، 22)، وانظر كذلك إلى الصورتين رقم (13، 14) حيث يظهر فيهما ثوب الانتفاضة، وينوه هنا أنّ هذا الثوب امتاز بقبته المثلثة من الأسفل، كما مر بالأشكال سابقا، وللتوضيح أيضا العودة للشكل رقم (16)، ويعدّ هذا تأثرا بثوب القلادة المنتشر بمنطقة غزة، على نقيض شكل القبات في الثوب التقليدي الموروث بجميع مناطق التطريز وهو المربع، الواضح في الشكلين (17، 18)، أمّا ما تدلى من القبة فكان على الأغلب خريطة فلسطين كما في الشكل (23)، وعلم فلسطين مطرّزا بألوانه كما في الشكل (23).

ومن أجل توضيح المطرّزات المستحدثة التي تأثرت بالأحداث السياسية فقد قام الباحث بإرفاق الجدول (1).

الجدول رقم (1):

المطرزات المستحدثة، وموضعها من الثوب، والحدث السياسي المتعلق بها، وعام الحدث، ورقمها في الملحق، وأهم الملاحظات عليها.

المطرّزة المستحدثة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
حيفا يافا	بدن، قبة، ذيال، كم	الانتداب البريطاني، أو هجرة الصهاينة إلى فلسطين.	1917م، إلى 1947م	–	يمثل الطريق التي كان يسلكها المقاومون الذين يرقبون المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين بين المدينتين الساحليتين الفلسطينيتين حيفا ويافا، أو يمثل سكة الحديد التي يموَّل من خلالها البريطانيون بالأسلحة والعتاد العسكري (المزين، 2014).
المرتين	–	–	–	–	بندقية تنسب إلى فريدريك مارتيني (1832–1897)، ذات جودة عالية كانت تستخدم في الحروب والصيد أيضا، وقد طورت واستخدمت في الحرب العالمية الأولى. وقد استخدمها المقاومون الفلسطينيون ضد الإنجليز والصهاينة.
علم فلسطين	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	24 ،4	يعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة" وقد لون بنفس ألوان علم فلسطين.
خريطة فلسطين	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	23 ،4	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة".
كلمة فلسطين باللغتين العربية، والإنجليزية	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	4	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة".

المطرّزة المستحدثة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
قبة الصخرة	قبة	انتفاضة الحجارة	1987	11، 12، 27	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة"، وقد طرّزت كأقمار بحجمين كبير وصغير، وبأكثر من حجم بشكل منفرد.
رسمة البارودة	قبة	انتفاضة الحجارة	1987	25، 26	"بارودة» كلمة عامية وتعني البندقية، وتعدّ جزءا من «ثوب الانتفاضة».
نفنوف الأعلام	بدن، كم، ذيال	انتفاضة الحجارة	1987	8، 9	يعد جزءا من "ثوب الانتفاضة".

يوضح الجدول أنّ جميع الأحداث السياسية التي أثرت في المطرّزات هي ذات صلة مباشرة باحتلال فلسطين وما تبعه بعد ذلك، وقد وقعت بعد انهيار الدولة العثمانية؛ إذ كان الحدث الأول هو الانتداب البريطاني، والحدث الأخير هو انتفاضة الحجارة، ويبين الجدول أيضا عدم العثور على مطرّزتي «حيفا يافا»، و«المرتين»، أما «رسمة البارودة» فإنها صورة لسلاح كلاشنكوف الروسي الذي انتشر مع ستينيات القرن العشرين وليست هي «المرتين». وإليك مختصرا لهذه الأحداث السياسية وضحها صالح (2004)، مع ما يتعلق بها من مطرّزات:الانتداب البريطاني: احتل البريطانيون القدس سنة (1917)، واحتلوا شرق الأردن وسوريا ولبنان في سنة (1918)، ثم وفرت بريطانيا لنفسها غطاء دوليا باستصدار قرار من عصبة الأمم في عام (1922) لتصبح فلسطين تحت الانتداب البريطاني. وقد أثر هذا الحدث في مطرزتي «حيفا يافا»، و«المرتين».

هجرة اليهود إلى فلسطين: بدأت هجرة اليهود لفلسطين بقوة منذ سنة (1918) أي بعد الاحتلال البريطاني مباشرة، وجرى تضمين وعد بلفور في صك الانتداب البريطاني في سنة (1922)، وزاد عدد المهاجرين اليهود من 55 ألفا (8% من السكان) في سنة (1918) إلى 650 ألفا (31% من السكان) في سنة (1948). وقد أثر هذا الحدث في مطرّزتي «حيفا يافا»، و«المرتين».

الانتفاضة المباركة: وسميت انتفاضة الحجارة أيضا، لأنّ الحجارة كانت أداة الهجوم والدفاع التي استخدمها الفلسطينيون ضد عناصر الجيش «الإسرائيلي»، وقد انطلقت عام (1987) إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمد من «إسرائيلي»، واستمرت الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات والمظاهرات والمقاطعة، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات إلى أن هدأت وتوقفت سنة (1993) بعد اتفاقية أوسلو. قدّر بعد نهاية الانتفاضة أنّ (1540) فلسطينيا استشهدوا، وعشرات الآلاف بين جريح ومعتقل. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزات: «علم فلسطين»، «خريطة فلسطين»، كلمة فلسطين باللغتين العربية والإنجليزية، «قبة الصخرة»، «رسمة البارودة»، «نفنوف الأعلام».

السؤال الثاني: ما هي المطرّزات التي تغيرت أسماؤها في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900–2000)؟

تمتاز المطرّزات الموروثة بعراقة وتنوع كبيرين، وقد استغلت المرأة الفلسطينية ذلك بتغيير بعض أسماء هذه المطرّزات لتتناسب والحدث السياسي الجديد المهم دون المساس ببنية المطرّزات؛ إذ أقدمت على الأغلب بتغيير اسم العروق، ولم تشمل غيرها من المكونات؛ وذلك لأهمية العروق في فن التطريز؛ إذ تعارفت النساء على تسمية الثوب استنادا لأبرز وحدة زخرفية في العرق، فنجد ثوب عرق البطّ والعصفور وبنت السلطان، استنادا لاسم عرق البدن فيه، دون الالتفات لباقي المطرّزات التي تقع على الثوب. ومن أجل توضيح هذه المطرّزات التي غُيرت أسماؤها قام الباحث بإرفاق الجدول (2).

الجدول رقم (2):

المطرزات بأسمائها الموروثة، وأسمائها الجديدة، وموضعها من الثوب، والحدث السياسي المتعلق بها، وعام الحدث، ورقمها في الملحق، وأهم الملاحظات عليها.

الاسم الموروث للمطرّزة	الاسم الجديد للمطرّزة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
–	الملس	بدن، قبة، كم، ذيال	الثورة الفلسطينية الكبرى	1936	–	انتشر في القدس وكان هذا العرق حكراً على النسوة اللاتي اشترك أحد أقربائهن بالثورة، ما جعله محرّضاً سياسياً في تلك الفترة، مشيراً إلى أنّ النسوة كنّ يحرّضن أزواجهن وأبناء عائلاتهن إلى الخروج مع الثوار والمقاتلين الفلسطينيين كي يتفاخرن فيما بينهن ويبدأن بتطريز هذا العرق (المزين، 2014).
قبور	قبور اليهود	بدن، قبة، كم، ذيال	النكبة	1948	7	دلالة على مشاعر الكره نحو الصهاينة، وتمنى الخلاص منهم وموتهم.
وردة الشام، أو قاع فنجان القهوة	دقة الفنجان	بدن	النكبة	1918 إلى 1948	5، 6	يمثل قنابل (الميلز) اليدوية التي كان يستخدمها الثوار ضد الصهاينة.
نثرة العصافير	نقشة هامرشولد	كم	موت هامرشولد، أو زيارة هامرشولد لفلسطين	1956، 1961	10	داغ هامرشولد: سويدي الجنسية، شغل منصب الأمين العام للأمم المتحدة، وكان موقفه عادلا من العدوان الثلاثي على مصر في سنة (1956)، كما كان مساندا للقضية الفلسطينية أيضا، وتوضح ذلك من خلال موقفه من مشروع التقسيم سنة (1947)، وقد لقى مصرعه في حادث تحطم طائرته في الكونغو بشكل غامض، ولتاريخه لم تُعرف الجهة وراء تحطّم الطائرة. أما نقشة هامرشولد

الاسم الموروث للمطرّزة	الاسم الجديد للمطرّزة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
						فهي رسم لطائرين يحطان على وحدة زخرفية ذات كفي ميزان متقابلين، كرمز لقراره العادل تجاه مشروع تقسيم فلسطين (الهاجري، 2012)، وقيل أنّ زيارة هامرشولد لفلسطين بعد العدوان الثلاثي هي التي أضفت على المطرزة هذا الاسم (سروجي، 2017).
موج البحر	خط بارليف	بدن	حرب أكتوبر	1973	1	صورته متشابكة، ومعقدة، وخياطته صعبة جدا، فكان دلالة على الوضع الراهن المعقد، والصعب للقضية الفلسطينية، ويمثل هذا دليل على تطور هذا الفن ومواكبته للأوضاع التي تمر بها فلسطين (أبو جبين، 2012).
–	بيغن والسادات	بدن	زيارة الرئيس أنور السادات للكيان «الإسرائيلي» ، أو اتفاقية كامب ديفيد	1977، أو 1978	2	مثل هذا التطريز اعتراض الشعب الفلسطيني على زيارة الرئيس أنور السادات للكيان «الإسرائيلي» سنة (1977)، واتفاقية السلام بين مصر والكيان «الإسرائيلي» في كامب ديفيد سنة (1978).
ورد الجوري	الصاروخ	بدن	–	–	3	–

بين الجدول أسماء المطرّزات الموروثة وأسمائها الجديدة، والأحداث السياسية التي كان لها الأثر في مطرّزات الثوب الفلسطيني، كما يبين الجدول عدم العثور على مطرزة «الملس»، والمقصود هنا عرق «الملس» وليس ثوب الملس المشهور في القدس. أما «دقة الفنجان» فوجد لها مطرّزتان الأولى اسمها الموروث «وردة الشام»، والثانية «دقة فنجان القهوة»، وقد وردتا لدى (Skinner & Kawar، 2007)، وكذلك فإنّ الاسم الموروث لعرق "بيغن والسادات" لم يعثر عليه إلا أنّه ورد في صورة لثوب يعود لعام (1870) في منطقة رام الله (Skinner & Kawar، 2007) ما دلّ على عدم استحداثه مؤخرا.ومن أجل توضيح الأحداث السياسية المهمة التي أثرت في المطرّزات يقدم الباحث مختصرا لهذه الأحداث، أوردها صالح (2004)، مع ما يتعلق بها من مطرّزات:

الثورة الفلسطينية الكبرى: هي الثورة الأعظم في تاريخ فلسطين في القرن العشرين، وقد حدثت بين عامي (1936–1939)، وشهدت أطول إضراب يقوم به شعب كامل عبر التاريخ حيث استمر (178) يوما. وتوقفت الثورة نتيجة إعادة احتلال بريطانيا لفلسطين، ونتيجة تنسيقها وتعاونها مع اليهود في فلسطين، وكذلك بسبب حالة الإنهاك والانهيار الاقتصادي التي أصابت شعب فلسطين طيلة ثلاث سنوات ونصف. وقد أثر هذا الحدث في مطرزة "الملس".

النكبة: تمثل هذه الحرب التي جرت سنة (1948) أحد أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث والمعاصر، إذ إنها الحرب التي أدت إلى سقوط (77%) من أرض فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي»، وإنشاء كيانه عليها، وتشريد نحو ثلثي شعب فلسطين. وقد أثر هذا الحدث في مطرزتي «قبور اليهود»، و«دقة الفنجان».

حرب أكتوبر: شكلت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية مجلسا أعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية المشتركة، وبدءا الهجوم على الكيان «الإسرائيلي» في عام (1973)، وقد حقق الهجوم انتصارات على الجبهتين المصرية والسورية، ومن نتائج هذه الحرب انسحاب الكيان «الإسرائيلي» من جيب سعسع، ومدينة القنيطرة وما حولها التي احتلت في سنة (1967)، كما انسحبت إلى شرقي قناة السويس. وقد أثر هذا الحدث في مطرزة "خط بارليف».

اتفاقية كامب ديفيد: قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة مفاجئة إلى الكيان «الإسرائيلي» في سنة (1977)، ودعا إلى تسوية سلمية، ثم بدأت المفاوضات بعدها إلى أن نتج عنها توقيع اتفاقية كامب ديفيد في سنة (1978)، بين مصر يمثلها أنور السادات والكيان «الإسرائيلي» يمثله مناحيم بيجن برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزة "بيغن والسادات".

خط بارليف: سلسلة من التحصينات الدفاعية كانت تمتد على طول الساحل الشرقي لقناة السويس، وقد بني من قبل الكيان «الإسرائيلي» بعد احتلاله لسيناء في حرب (1967)، وكان الهدف الأساسي من بناء الخط هو تأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أي قوات مصرية إليها، ولكن الجيش المصري تمكن في أكتوبر عام (1973) من عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزة «خط بارليف».

خاتمة بأهم النتائج

يخلص الباحث مما سبق إلى أنّ المرأة الفلسطينية تأثرت وتفاعلت مع ما جرى حولها من أحداث سياسية مهمة تمس القضية الفلسطينية، وقد عبّرت عن ذلك ببساطة وسهولة من خلال التطريز الفلسطيني، هذا الفن الذي امتازت به، وأبدعته عبر العصور. وتبين أنّ هذه المطرزات الجديدة لم تمس بنية المطرّزات الموروثة للثوب، بل كان تأثيرها محدوداً وضيقاً، إلا من كان في «ثوب الانتفاضة»، فالتطريز فن أصيل له أصوله وقواعده وضوابطه على الثوب، ولذلك لم يكن من السهل هدم كل هذا وبناء بنية من المطرّزات المستحدثة بشكل طارئ، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه المطرّزات الجديدة التي أنتجت في ظل الأحداث السياسية استحدثت وفقا لقواعد التطريز الأصيل، وأخذت مواضع المطرّزات على الثوب، وانتظمت ضمن قواعدها وأصولها، كالعروق والقبات والنثرات، وبذلك فقد تماهت هذه المطرّزات الجديدة مع الموروثة وأصبحت جزءا منها، لا يميزه

إلا الباحثون وخبراء التطريز، ناهيك عن المطرّزات التي وسمت بأسماء جديدة بدلا من أسمائها الموروثة؛ إذ لم يقع عليها التغيير في المطرزة واقتصر فيها التغيير بالاسم فقط؛ ما أوقع القارئ بالوهم بأنها مطرّزات جديدة إبداعية ناسبت الحدث السياسي.

وأما ذكر هذه المطرّزات المستحدثة وتفصيلها وتوضيحها بهذه الدراسة فإنه يأتي هنا لا لنفيها واستلالها من الثوب، بل لتوضيح مرونة وإبداع هذا الفن الموروث في مواكبة المستجدات، وهذا التفاعل إنما هو إحدى خصائص الإرث المادي والفولكلوري، الذي يعبر بما يحتويه عن سجل الأحداث والتجارب لدى الشعوب.

وفي النهاية، لا بدّ من الإشارة إلى وقوع بعض المطرّزات التي ذُكر في مراجعها أنها قد تأثرت بالأحداث السياسية، إلا أنّ الباحث لم يستطع الوصول لمعلومات تكفي لإرفاقها في الدراسة شرحا وتوضيحا، ولكن، ورغم ذلك فقد وجب ذكرها، وهي: المندوب السامي20، السلحليك21، الفشك22، الجبل، حمامة السلام (الطير)، التيل23.

المقترحات والتوصيات

يقدم الباحث بعض التوصيات والمقترحات بناء على ما سبق من نتائج الدراسة، آملا الأخذ بها من قبل المعنيين كل في موقعه، كالآتي:

1. تخصيص معرض يضم الأثواب الفلسطينية المطرّزة التي تحتوي على مطرّزات وقع عليها تأثير الأحداث السياسية، وعدم الاقتصار على ثوب الانتفاضة فقط.

2. ضرورة تفريق الباحثين بين ما جرى استحداثه من مطرّزات، وما تم تغيير اسمه فقط، تفاديا للخلط بينهما.

3. ضرورة تأكيد الباحثين على أصالة مطرّزات الثوب الفلسطيني ومكوناته وعراقته، من حيث مواقع التطريز، وكثافته، ومعانيه، ودلائله.

4. القيام بدراسات حول تأثير الأحداث السياسية في موضوعات التراث الشعبي المختلفة.

الهوامش

1. الكنعانيون: هم عرب قدموا إلى أرض فلسطين من شبه الجزيرة العربية حوالي (2500 ق.م)، واستوطنوا فيها وأسسوا أهم مدنها الحالية كالقدس والخليل ويافا وغزة وغيرها، أمّا أبرز قبائلهم التي استقرت في فلسطين فهي اليبوسيون، والعناقيون، والحويون، والعماليق (عصفور، 1979).

2. خنم حتبة الثاني: أو خنوم حتب الثاني، حاكم إقليم الوعل خلال حكم الأسرة الثانية عشرة من الفراعنة المصريين (إبراهيم، 1960).

3. سنوسرت الثاني: فرعون مصري وهو رابع فراعنة الأسرة الثانية عشر، وقد حكم من (1882 ق.م) إلى (1872 ق.م) (إبراهيم، 1960).

4. الهكسوس: شعوب بدوية من أصول عمورية دخلت مصر من سيناء في فترة ضعف الأسرة الرابعة عشر من الفراعنة المصريين، ويرجح أنهم أصحاب أصول آسيوية متعددة، وقد استمر احتلال الهكسوس لمصر حوالي مائة عام، ولم تكن إقامتهم فيها هادئة؛ بل قوبلت بكثير من الثورات والمقاومة من الشعب المصري (إبراهيم، 1960).

5. تحتمس الرابع: أو تحوتمس، هو ابن أمنحوتب الثاني والملكة تي–عا، وهو الملك الثامن في الأسرة الثامنة عشر من الفراعنة المصريين(عصفور، 1979).

6. الغدفة: غطاء رأس للمرأة في مناطق واسعة من فلسطين، وهي قطعة قماش قطنية بيضاء خفيفة، أبعادها (120×180 سم)، وقد تسمّى «شاشة».

7. الوقاة: قطعة قماش سميكة بمقدار الرأس، تطرّز بكاملها وتثبت عليها النقود الذهبية والفضية من الأمام فقط، ولها قطعتي قماش على شكل شرائط تلف حول الشعر المجدول وتربط خلف الرأس، ويلبس فوقها الغدفة أو الملاية أو الشنبر.

8. العراقية: طاقية للمرأة تغطي كامل الرأس، وهي قطعة قماش سميكة تطرّز بكاملها وتثبت عليها النقود الذهبية والفضية، ويلبس فوقها الغدفة أو الملاية أو الشنبر.

9. الملاية: غطاء رأس للمرأة في مناطق واسعة في فلسطين، وهي عبارة عن قطعة كبيرة من القماش الملون والمزركش بألوان مختلفة غالية الثمن، وهي أكبر من الغدفة، وتستورد جاهزة ولا تحتاج إلى خياطة أو تطريز لجودتها العالية.

10. لفاع الطفل: أو القماط، هو قطعة قماش يلف فيها الطفل في أول أيام ولادته حفاظا عليه ووقاية له أثناء حمله، أو نقله من مكان لآخر.

11. الشراشف: جمع شرشف، وهو قطعة قماش مربعة الشكل غالبا، يغطى به بعض أشياء البيت كالطاولة أو التلفاز أو غيرها، أو قد يتغطى به الناس في الصيف أحيانا.

12. الوسائد: أو المخدّات، كيس من القماش محشو بمادة طرية كالصوف أو القطن، ويستعمل للنوم بوضعه تحت الرأس أو يستعمل للاسترخاء، ولها أحجام وأنواع عديدة.

13. الشملة: أو الحزام، حزام للمرأة تلبسه على خصرها، وهو قطعة جلدية تلف بقطعة قماش مطرّزة ولها نهاية رفيعة تربط من خلالها طرفي الحزام.

14. البراويز: مفردها برواز، وهو إطار يتخذ من خشب أو غيره توضع فيه الصور أو المرايا.

15. فينوس: آلهة الحب والجمال لدى الرومان واسمها في اليونانية الآلهة أفروديت، اعتقد الرومان أنّ الإلهة فينوس ولدت في البحر وجاءت إلى شواطئ قبرص في محّارة.

16. قدلة: هي نفسها الوقاة ولكن يضاف عليها قطعة قماش تغطي نصف الجبهة.

17. شنبر: تشبه الملاية إلى حد كبير إلا أنها غالبا تحاك من الحرير الطبيعي.

18. أريحا: مدينة فلسطينية تاريخية قديمة تقع على الضفة الغربية بالقرب من نهر الأردن وعند شمال البحر الميت، يعود تاريخها إلى (10،000 ق.م)، وتعد أقدم المدن في التاريخ.

19. الصهيونية: حركة سياسية يهودية، ظهرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ودعت اليهود للهجرة إلى أرض فلسطين بدعوى أنها أرض الآباء والأجداد، وبعد فترة طالب قادة الحركة الصهيونية بإنشاء دولة منشودة في فلسطين والتي كانت ضمن أراضي الدولة العثمانية، وبعد تأسيس دولة «إسرائيل» في (1948) أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها توفير الدعم المالي والمعنوي لدولة «إسرائيل». وقد عقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية في بازل بسويسرا سنة (1897)؛ ثم بدأ تطبيق الصهيونية بشكل عملي على فلسطين فعملت على تسهيل الهجرة اليهودية

ودعم المشاريع الاقتصادية اليهودية (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990).

20. المندوب السامي: موظف رفيع يتم اختياره من قبل الحكومة البريطانية، بموجب توصية من وزارة المستعمرات البريطانية، وفي فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، أطلق عليه اسم «المندوب السامي لفلسطين» واشغل هذا المنصب بين (1948–1920) (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990).

21. السلحليك: أو السلاحليك، هي الغرفة المخصصة لتخزين الأسلحة والذخيرة.

22. الفشك: اسم طلقات السلاح باللهجة العامية.

23. التيل: نبات من فصيلة الخبازيات يصنع من أليافه الأكياس والحبال الغليظة.

قائمة المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم، نجيب ميخائيل (1960). مصر والشرق الأدنى القديم. ط3. مؤسسة المطبوعات الحديثة.

2. أمين، ابتهال عبد الشكور (2009). التراث الملبسي للمرأة في فلسطين. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

3. أبو جبين، عطا (2012، أكتوبر). الأزياء الشعبية التراثية في جنوب محافظة الخليل، المؤتمر الرابع للتراث والفن. جامعة النجاح: الخليل، فلسطين.

4. جرادات، إدريس محمد (نوفمبر، 2011). ثوب المرأة الريفية الفلسطينية تكنولوجيا محلية وهوية وطنية. المؤتمر الثالث التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل– هوية وانتماء. جامعة القدس المفتوحة: الخليل، فلسطين.

5. الجواليقي، أبي منصور (1969). المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. (ط2). مطبعة دار الكتب.

6. سروجي، لورا (2017). تذكارات فلسطين بلغة بريل. العربي الجديد. الأردن. تم استرجاعه بتاريخ (9/7/2019) على الرابط الإلكتروني: https://www.alaraby.co.uk/culture

7. صالح، محسن محمد (2004). دراسات منهجية في القضية الفلسطينية. عمّان: دار الفرقان.

8. عبد اللطيف، مازن (2012، أكتوبر). الزي الشعبي الفلسطيني بين الحداثة والتهويد. المؤتمر الرابع الفن والتراث الشعبي الفلسطيني– واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

9. عصفور، محمد أبو المحاسن (1979). معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

10. العلان، مروان (2012، أكتوبر). التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني. المؤتمر الثالث الفن والتراث الشعبي الفلسطيني–واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

11. علقم، نبيل؛ ومنصور، سليمان (1989). دليل فنّ التطريز الفلسطيني. القدس: مطبعة أوفست حسن أبو دلو.

12. قعوار، وداد كامل؛ وناصر، تانيا تماري (1992). التطريز الفلسطيني– الغرزة الفلاحي. (ط4). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

13. قعوار، وداد (2010). أثواب لوّنتها الشمس، الملابس الفلسطينية الوطنية. عمّان: عمّان وزارة الثقافة.

14. الكسواني، ناهدة (نوفمبر، 2011). الملابس الشعبية للمرأة في الخليل. المؤتمر الثالث التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل–هوية وانتماء. جامعة القدس المفتوحة: الخليل، فلسطين.

15. المزين، عبد الرحمن (1981). موسوعة التراث الفلسطيني، الأزياء الشعبية الفلسطينية. (ط1). منشورات فلسطين المحتلة: بيروت.

16. المنجد، صلاح الدين (1978). المفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي. (ط1). إيران.

17. ابن منظور، محمد (د.ت). لسان العرب.(ط1). بيروت: دار صادر.

18. الهاجري، مشاعل عبد العزيز (2012). تطريز همرشولد على حواشي الثوب الفلسطيني. eltibas. الكويت. تم استرجاعه بتاريخ (5/7/2019) على الرابط الإلكتروني: https://eltibas.wordpress.com

19. هيئة الموسوعة الفلسطينية (1990). الموسوعة الفلسطينية. (ق2). (مج 1،2،4). (ط1). بيروت.

ترجمة المصادر والمراجع العربية:

Translated References

1. *Ibrahim, N (1960). Egypt and the Ancient Near East. (3 ed). Foundation of Modern Publications.*

2. *Amin, I (2009). Women's Clothing in Palestine. (1 ed). Jordan: The World of Modern Books.*

3. *Abu Jbain, A (2012, October). Traditional folk costumes in the southern Hebron Governorate, the fourth conference of heritage and art. An-Najah University: Hebron, Palestine.*

4. *Jaradat, I (November, 2011). The dress of Palestinian rural women is a local technology and a national identity. The Third Palestinian Popular Heritage Conference in Hebron Governorate - Identity and Belonging. Al-Quds Open University: Hebron, Palestine.*

5. *Al-Jawaliqi, M (1969). Transliterated from the glossary speech on the letters of the lexicon. (2). Dar Al Kutub Printing Press.*

6. *Srouji, L (2017). Palestine Memorabilia in Braille. The New Arab. Jordan. Retrieved on 9/7/2019 at https://www.alaraby.co.uk/culture*

7. *Saleh, M (2004). Methodological studies in the Palestinian cause. Amman: Dar Al-Furqan.*

8. *Abdullatif, M (2012, October). Palestinian folk costume between modernity and Judaization. Fourth Palestinian Art and Folklore Conference - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.*

9. *Asfour, M (1979). Landmarks of ancient Near East history from the earliest times to the advent of Alexander. Beirut: dar alnahdat alearabia for Printing and Publishing.*

10. *alallan, M (2012, October). The accumulation of civilization in the inscriptions of the Palestinian dress. The Third Conference Palestinian Art and Folklore - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.*

11. *Alqam, N; Mansour, S (1989). Palestinian Embroidery Handbook. Jerusalem: Offset Printing Press.*

12. *Kawar, W; Nasser, T (1992). Palestinian Embroidery - Peasant Stitch. (4 ed). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.*

13. *Kawar, W (2010). Sun-colored dresses, Palestinian national clothing. Amman: Amman Ministry of Culture.*

14. *Kiswani, N (November, 2011). Popular clothing for women in Hebron. The Third Palestinian Popular Heritage Conference in Hebron Governorate - Identity and Belonging. Al-Quds Open University: Hebron, Palestine.*
15. *Muzain, A (1981). Encyclopedia of Palestinian Heritage, Palestinian Popular Costumes. (1 ed). Occupied Palestine Publications: Beirut.*
16. *almunjid, S (1978). Detailed in Persian terms Arabized in ignorant poetry, the Holy Quran, Hadith and Umayyad poetry. (1 ed). Iran.*
17. *Manzoor, M (d.) The tongue of the Arabs. Beirut: Dar Sader.*
18. *Al-Hajri, M (2012). Hammarshulid embroidery on the footnotes of the Palestinian dress. eltibas. Kuwait. Retrieved on 5/7/2019 at https://eltibas.wordpress.com*
19. *Encyclopedia of the Palestinian Authority (1990). The Palestinian Encyclopedia. (2). (Vol. 1,2,4). (1). Beirut.*

قائمة المراجع و المصادر الأجنبية :

1. *Amir, Ziva (1977). Arabesque. Van Nostrand Reinhold Company: New Yourk*
2. *Kawar, Widad (1999) Threads of Identity: Preserving Palestinian Costume and Heritage . Rimal Publications.*
3. *Khalidi, leila (1999). The Art of Palestinian Embroidery. Saqi Books: london*
4. *Munayyer,Hanan (2011). Traditional Palestinian Costume: Origins and Evolution.*
5. *Omar, Abed Al-Samih (1986). Traditional Palestinian embroidery and jewellery. Al-Shark: Jerusalem*
6. *Rajab, Jehan (1989). Palestinian Costume. KPI: london*
7. *Stillman, Yedida (1979). Palestinian costume and jewellery, Albuquerque. University of New Mexico Press*
8. *Skinner, Margarita & and Kawar, W. (2007). Palestinian Embroidery Motifs a treasury of stitches 1850-1950. (1st ed). London: Melisene published.*
9. *Weir, Shelagh (1989). Palestinian Costume. British Museam: london*
10. *Weir, Shelagh; Shahid, Serene (1988). Palestinian embroidery : cross-stitch patterns from the traditional costumes of the village women of Palestine. London: British Museum publications*

ملحق المطرّزات

ملحق مطرّزات الثوب الفلسطيني، ويضم المطرّزات التي تأثرت بالأحداث السياسية، وأشكالا وصورا أخرى توضيحية.

(1)

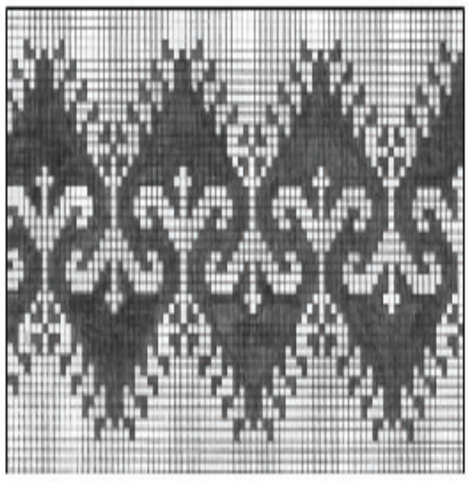

(2)

(3)

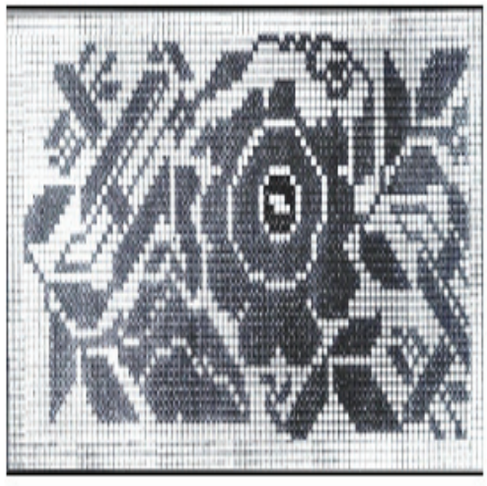

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(10)

(11)

(12)

(13)

(14)

(15)

(١٥)

(١٦)

(١٧)

(١٨)

(١٩)

(٢٠)

(٢١)

(٢٢)

[22]

[23]

[24]

[25]

[26]

[27]